الإنسان بين رؤيتين، الإنسانوية والروحانية

Man between two visions, humanism and spirituality

نصر الدين بن سراي *
أستاذ محاضر أ، جامعة لمين دباغين، سطيف 2
Benserai necreddine
Professor Lecturer A, University of Lamine Debaghin, Setif 2
n.benserai@univ-setif2.dz

هجيرة شبلي
أستاذ محاضر أ، جامعة لمين دباغين، سطيف- 2
Hadjira Chebli
Professor Lecturer A, University of Lamine Debaghin, Setif 2
h.chebli@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/13 تاريخ القبول: 2024/11/27 تاريخ النشر: 2024/12/08

الملخص: نسعى في هذه الورقة العلمية البحث عن جذور تشكل التيار الإنسانوي في الفكر الغربي، والظروف المتاخمة لنشأته، وبالخصوص أن هذا التوجه الفكري له حضور عريض وواسع في الأوساط الثقافية والأدبية اليوم، ويُقدّم على أساس أنه الأنموذج المخلِّص للإنسانية. بالإضافة إلى كونه قد اصبح رؤية إلى العالم؛ تسري على جميع الموجودات؛ لتشمل الصعيد الفكري والاقتصادي والسياسي وغيرها، كما نريد أنشير إلى أن هذا الأنموذج قد أصبح أداة إجرائية يفسر بها العالم ويفهم، لذا حاولنا في هذا المقال عرض أهم الأفكار التي احتواها هذا الأنموذج، مع تفكيك أصوله الفكرية التي يرتكز عليها في بناء رؤيته، ومحاولة منا إلى فهم تلك الرؤية الإنسانوية فهما عميقا بعيدا عن الذاتية، ذلك أن التصور الإنسانوي يمكن أن يشكل قطيعة مع الثقافات الإنسانية الأخرى التي تختلف عنه خصوصا مع دعوى المركزية الثقافية الغربية اليوم، التي تختلف تماما مع دعوى الرّهان التثاقف الكوني، في عصر العولمة والانفتاح على التجربة الإنسانية والحكمة المبثوثة في التراث الروحي للإنسان على امتداد العصور التاريخية. ولهذا أردنا أن نعرض لأنموذج أرحب متمثلا في الإنسان الكامل، الذي يعبر من وجهة نظرنا على الوحدة الإنسانية في شقها الأكثر اتساقا ووحدة، من خلال البحث على ما يصطلح عليه بالمشترك الإنساني، الذي تبنّاه أصحاب المدرسة الإرثوية. حيث برّرنا أهمية هذا التصور الأخير من خلال أهم النصوص التراثية في الفكرين الغربي والإسلامي.

الكلمات المفتاحية: التيار الإنساني، الإنسان الكامل، الأبتر، التنوير، الحقيقة، الروحانية

Abstract: also want to point out that this model has become a procedural tool by which the world is interpreted and understood, so we tried in this article to present the most important ideas contained in this model, while dismantling its intellectual foundations on which it is based in building its vision, and our attempt tounderstand this humanist vision deeply away from subjectivity, because thehumanist perception can constitute a break with other human cultures that differfrom it, especially with the claim of Western cultural centrism today, which is completely different with the claim of the betting bet. This is why we wanted to present a broader model represented by the perfect human being, which, in our view, expresses human unity in its most coherent and unified aspect, through the search for what is termed the human commonality, which was adopted by the owners of the heritage school. We have justified the importance of this last conceptualisation through the most important heritage texts in Western and Islamic thought.

Keywords: Humanist Current, humanist, full human, amputee, enlightenment, truth, spiritualit

* - المؤلف المرسل

- مقدمة:

يُحيلُنا الجذر التيمولوجي لكلمة الأبتر إلى معانٍ رمزية متعددة منها : عمل غير مكتمل، أو طلب الحاجة في غير وقتها، أو مكانها، أو الطفل ولد قبل ميلاده الطبيعي، فهي تدل قبلا أن المذهب الإنساني الذي ظهر في أوربا مع عصر الأنوار أنه غير مكتمل، خاصة لما نتمعن في السياقات التاريخية التي أنتجته، فقد كان للصّراع في العصر الوسيط في أروربا مخاضات حاسمة، بعد تلك التناقضات التي احتوتها المسيحية، هذا ما جعل عصر الأنوار يستبعد الفكر الديني بعد أن احتوى على عناصر لا عقلانية، فكان الخيار الذي وقف عليه الغرب هو إعادة بعث التوجه الإنسانوي، بعد استلاب الكنيسة له، فقد تم استبدال المقولات الدينية، واستخلافها بالدّيانة الطبيعية الإنسانية. ثم كانت عملية قلب للقيم الدينية مع الفيلسوف الألماني كانط، ثم لتتجلى تلك الديانة مع صورة الدولة الحديثة التي أزاحت الإله من مكانه، ومُنح لها معانٍ ميتافيزيقية متعالية ذات طابع أسطوري، هذا الكائن الأخير نعني به الدولة، وهو الإله الجديد الذي أخذ طابع القداسة عبر القوانين المعبرة للإرادة السيادية، المتخذة لشِرعة العنف لتفرض نفسها بعد أن كانت مستنكرة له - في الحكم الكنسي-.

هذا التصور الإنسانوي المبتسر غير الناضج، كان مُنتقَداً من قبل رؤى أخرى خاصة، مع الفلسفة الروحانية المتعالية، فقد سجلت هذه الأخيرة موقفا مغايرا؛ فإذا كانت جميع الفلسفات والديانات تنشد فكرة الكمال أو الشخصية الكاملة، عبر محطات في تاريخ الفكر الفلسفي، مثل: بوذا، زرداتشت، والخلاص مع المسيحية، والسوبر مان مع نيتشه، إلى الإنسان الحديث الذي يعتقد أن الكمال في الدولة، إلى ما ترُومه الفلسفة الروحانية مع الإنسان الكامل؛ إنّها فلسفة تضع الإنسان في مركز المشروع الإلهي، بمعنى تهتم بالله والإنسان معا، فهي لا تضع الإنسان في مركز المشروع الإنساني المقطوع عن التعالي الروحاني، أما الإنسان الكامل العالمي فهو الذي تم تكوينه وفق نظام روحاني، وعليه فالعقل الموسّع عن طريق العقل العلوي به فقط يمكن خلق مستقبل ذو وجه إنساني.

وبناء على ما سبق فإن المقال يروم الوقوف على الإنسان الكامل وفق الرؤية الروحانية، لذلك نتساءل: ما وجه الانقطاع في المذهب الإنسانوي؟ وما موقف الأنوار الغربية من الإنسان؟ وما رؤيتها له؟ وما مقاربة الإنسان الكامل في الرؤية الروحانية الإنسانية؟

- التنوير الإنسانوي رؤية لتدبير العالم:

مع ميلاد العصر الجديد، بدأت المسلمات التي ترتكز عليها القيم بالتحول والتغير. لم تعد مقولة الإله التي كانت مقولة أساسية في البناء القيمي في العصور الوسطى- خاصة في الفكر الديني، فالتيار الإنسانوي قلب المرجعية إلى الإنسان وفي عقله كمشرّع لما يحتاجه. نحن أمام شِرعة من القيم؛ مِحضَنُها عصر النهضة، ساهمت في بناء التصور القيمي على مدى قرون متواصلة، وإن لم نكن مبالغين نقول حتى اليوم، حيث ضمّت إشكاليات القيمة، سؤال المرجعية بشكل أساسي، خاصة بعد اهتزاز الفكر الديني، والثورة عليه فقد أثر التّصور الميكانيكي الذي أرسى قواعده (نيوتن) في تغيير التصور نحو فكرة الله الخالق، إلى ميلاد إله علمي الذي سيأخذ مكان الإله؛ من إله الفجوات في التصور اللاهوتي إلى التصور العلمي الجديد عن العالم والوجود، حيث "كان بعض اللاهوتيين النصارى قديما كلما أعياهم تفسير ظاهرة ما أو حادثة ما قالوا سبب ظهورها أو حدوثها هو الفعل الإلهي المباشر المجرد من الأسباب المادية... فلمّا تطورت العلوم، حلت الأسباب المادية محل السبب الإلهي، وتزعزع الإيمان بالله، لكن ظلت العلوم تتقدم وتنمو وتتطور على حساب الله، وكلما اكتشف سبب مادي لظاهرة ما، كانت مكانة الله تتآكل وتضعف (عزمي، 2016، ص ص. 212،211).

ومن هنا انحصر دور الإله وغاب في الحياة؛ ليتحول بعد ذلك إلى الطبيعة؛ أي حال فيها (فهو عَينُها)، ولا سبيل للتعامل مع ذلك وفهمه إلا بالعلم والعقل خاصة مع سبينوزا، أي "الإله بوصفه مجموع الطبيعة "(كولينز، 1998، ص. 110). وهذا الانحصار للمفهوم الإلهي كان له دور خطير في هذا العصر خاصة في عملية استمداد القيم، ووفق أي مرجعية سيرَكَنُ إليها عقل الأنوار والنهضة؟ بعد النهوض على كل قديم ورفضه.

1-1- شرعة الديانات الجديدة و انزياح المركزية من الإله إلى الإنسان:

بداية نود أن نشير إلى أن هناك تساوقا بين العقلنة والحداثة من جهة، وبين عزل التصورات القيمية ونزع القدّاسة عنها بسبب هذه الرؤية العقلانية للعالم، "فالحداثة تستبعد أي غائية. إنّ العلمنة وإزالة سحر الأوهام، اللتان يتحدث عنهما (ماكس فيبر) واللتان تحددان الحداثة باعتبارها عقلنة، تبرزان القطيعة الضرورية مع الغائية الدينية التي تنادي دوما بنهاية للتاريخ (تورين، 1998، ص. 29)، فبعد رفض التصورات الدينية المسيحية، ونقد الكتاب المقدّس واسترجاع المركزية للإنسان بدل الإله، أصبحت الذّات العارفة هي مركز الوجود، ففكرة الإله لم تعد لها السطوة والحضور تبعا للإيمان المسيحي الذي تمت إزاحته من الحياة، "وحين تلغى موضوعية الله، يوضع الإنسان في المركز، وبمجرد ما تكون الكائنات العاقلة غايات موضوعية، فسيوجد الإنسان، وأي كائن عاقل كغايات في ذاتها وليس فقط كوسائل"(فاتيمو، 2004، ص.164).

وعليه فستصبح الذّات العارفة هي مركز الوجود؛ غايتها في ذاتها، ولا تستمد وجودها إلا من ذاتها العارفة العاقلة، فهي صانعة للقيم ولا تتلقاها من مصدرٍ متعال، بل الذّات نفسها متعالية، فلا مرجعية لها إلا من عقلها المتنوّر. لكن ميلاد العلمنة الأخلاقية قد اتّخذت أشكالا ومراحل لتصل في صورتها الأخيرة بحذف

الإحالات الميتافيزيقية عن كل ممارسة أخلاقية في صورتها النهائية مع إيمانويل كانط، فالدّيانة المسيحية الغامضة تم عقلنتها بما يناسب عقل الإنسان، فقد: "أدى إخضاع الدين للعقل إلى فصله عن الخرافات والغيبيات، واستبداله بنوع من التقوى العقلانية" (بيتر وآخرون، 2007، ص.103).

وهنا يصير العقل هو المتحكم فيما هو ديني عن طريق فهمه فهما عقلانيا، وإزاحة كل ما لا يقبله العقل. بذلك تم إخضاع الدين للعقل واستبعاد جانبه الغيبي الميتافيزيقي الظاهر في شكله الغامض، وإحلال مكانه دين العقل أو الديانة العقلانية، وعليه فالدّين الطبيعي هو عبارة عن "إيمان تتضمنه عقيدة بحد أدنى تعبد داخلي يرتكز على الاعتراف بالألوهية، وعلى ممارسة الحياة المستقيمة، وقانون تتضمنه القاعدة الذهبية للتبادل، أو مطلب العدالة والإحسان، أمل هو أمل السعادة الحاضرة والآتية" (جاكلين، 1993، ص.57).

وفي المقابل فقد بيّن "الإلهيون الإنجليز على مقدرة العقل البشري بلوغ الإقرار بالألوهية بعيدا عن أي شكل من أشكال الوحي، طرحت مسألة أساسية، إذ ما كانت أشكال تصور المقدّس ليست سوى شهادات عن الضعف والجهل الإنسانيين، وإذا مكان هناك أيضا أصل نفسي لكل الظواهر الدينية فهل ينجم عن ذلك الإقرار بديانة طبيعة ماكثة في عمق الإنسان؟ فمختلف التمظهرات التاريخية للتجارب الدينية ذات طابع جماعي أو فردي ليست في الواقع سوى أقنعة، أي انحرافات للاستعمال السليم للعقل الساعي نحو معرفة الإلهي".(مسلان، 2009، صفحة 45)، فالفكر العقلاني ينظر إلى الظواهر الدينية على أنّها أخطاء في سيرورة العقل في البحث على الخلاص ونُشدان الحقيقة، أضف إلى ذلك ما اشتملت عليه التصورات المسيحية من رؤى غير عقلانية أعطت الحق للعقل أن يُمارس فعل النقد، والمساءلة، "فجوهر الظاهرة الدينية؛ يمكث إذا في العام وليس في الخاص من الخبرات المُعاشة، فإذا ما كان التحليل لمختلف أشكال المقدّس المعاش يوحي بطابع لا عقلي نوعا ما، فهل يبقى من الجائز الاستمرار في نعتها بـ(الأمراض)؟" (مسلان، 2009، ص.46).

أي أنّ البشرية في مسعاها للبحث عن الحقيقة مرت بمراحل: من ديانات لا عقلانية إلى ديانات لابد أن تكون عقلانية في عصر العقل، " فقد عرف (فولتير) دين التأليه الطبيعي الجديد (Deism) في "معجمه الفلسفي1764 " الذي وضعه، اعتقد مثل (نيوتن)، أن الدين الحق ينبغي أن يكون متسامحا يقول: "ألن يكون هو هذا الدين يعلّم كثيرا من السلوك الأخلاقي، والقليل من التعليمات الدوغماتية؟ ذلك الذي ينزع لأن يجعل الناس عاديين دونما عبث أو سخف؟ ذلك الذي لا يأمر المرء بالاعتقاد في أشياء مستحيلة متناقضة... ذلك الذي لا يجرؤ على تهديد أي شخص ذي حكمة فطرية بالعذاب الأبدي... والذي لا يغرق الأرض بالدّماء بناء على سفسطة غير مفهومة؟ "(آرمسترونج، 2010، ص ص. 329-330)

كذلك فقد اعتقد (جون لوك) بكفاية العقل لوحده في معرفة الحقائق بالاستناد على الوحي أي: بما في الكتاب المقدّس تحقيقا منه إلى أن يصل إلى ديانة العقل الجديدة، حتى المؤمنون بالله اتفقوا أيضا على المسلّمة الأخيرة على مقدرة العقل مجمعين على الدّين العقلي فقد كتب (لوك): "لم تبق حاجة أو نفع للوحي في مثل هذه

الأمور كلها، طالما أن الله أعطانا وسائل طبيعية أكثر يقينا لنتوصل بها إلى معرفة هذه الأمور؛ لأنّ الحقائق التي تتضح لنا من معرفتنا لأفكارنا أو تأملنا لها، تكون أوثق من تلك التي تأتينا عن طريق الوحي التقليدي"،.Locke) (1959. فقد أصبح هذا التصور الطبيعي للدين نفسه حربا ضد المسيحية، وللتملص منها خاصة مع (روسو) في كتابه "دين الفطرة"، إذ يقول: " ويحك! سكان المدينة التي مات فيها إلهك، القدامى منهم والجدد، لم يعرفوه، وتطلب مني أن أعرفه أنا المولود بعد ألفي سنة في مكان يبعد عنها بألفي ميل! ألا ترى بوضوح أنه، قبل أن أصدق ما في كتابك المقدّس والذي لم أفهم منه حرفا واحدا، لابد لي من أن يخبرني غيرك متى وكيف ألف ذلك الكتاب" (روسو، 2012، ص. 114).

فقد كان من تباشير العقيدة الجديدة التي جاء بها (روسو) قوانين تكاد تَحُلَ مكان التّصورات الأخلاقية الدينية، بل تحاول أن تنافسها وتحل محلّها، ولكنّها مستمدة من العقل وليس من الوحي؛ أي بداية لعلمنة الأخلاق وفصل القيم عن الدين. فهي إحدى المحاولات الأولى في هذا التوجه، فقد "كانت إحدى هذه العقائد؛ ذلك المبدأ الذي جاء به (روسو) ومؤداه أن الإنسان فاضل بطبعه وأنه يحب العدالة والنظام بالسليقة... وأن الناس متساوون بحكم الطبيعة، وكان منها ذلك الاعتقاد الغرير السائد بأن التشريع يستطيع أن يمحو ماضي المجتمع محوا وأن يخلقه خلقا جديدا وكانت مبادئ (الحرية والإخاء والمساواة) لا تخرج على كونها عقيدة كعقيدة الرسل، تسلط على أذهان الناس كما يتسلط وحي من السماء" (بيوري،، 2010، ص. 92) (تورين، 1998، ص. 39).

- التأسيس الكانطي للتشريع الإنسانوي بديلا للتشريع الديني:

استبدلت جميع الشرائع المسيحية التي عرفها البشر؛ بميلاد تشريعي جديد تستمد منه الذات العارفة تلك الأوامر والتشريعات من ذاتها أي: من عقلها، ولكن لَبِنَات التصور هاته قد بدأت مع المشروع الحداثي، والآباء المؤسسين مع (جان جاك روسو) في كتابه "دين الفطرة"، ودانيسديدرو (Denis Diderot) في كتابه "كفاية الدين الطبيعي"، وباروخسبينوزا (Baruch Spinoza) في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة"، وهذا الأخير إيمانويل كانط (Immanuel Kant) في كتابه "الدين في مجرد حدود العقل"؛ حيث يعرّف (كانط) الدّين بأنّه "معرفة واجباتنا كأوامر إلهية، ولذلك ليس هناك بالضبط سوى دين أصيل واحد لا يتضمن أصولا للعقيدة ولا تعبدا؛ وإنمّا قواعد أخلاقية وحسب، ويختلط بالدين الطبيعي الأخلاقي. إنّ الدين الحقيقي الوحيد لا يتضمن سوى قوانين، أي إشارات علمية بحيث نستطيع بها أن نكون واعين لضرورتها غير المشروطة؛ وبالتالي لا يمكننا الاعتراف بها على أنّها موحى بها عن طريق العقل الصرف" (جاكلين، 1993، ص. 95) هذا التصور وغيره قد ساهم (كانط) في وضع قواعده وتوطينه بشكله يجعل له القبول في الفكر الأوروبي لذا سنتناوله فيما يأتي.

إن ميلاد العلمنة الأخلاقية كان مع (كانط)، لكن بأي معنى كان مساهما في ذلك[1] أساسا يمكن اعتبار أن العلمنة في المجال الأخلاقي بفصل هذه الأخيرة - الأخلاق - عن الدين وبشكل تنظيري صريح كان مع

الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانط) فقد ساهم في هذا التأسيس من خلال مشروعه الفلسفي؛ خاصة في رؤيته الأخلاقية وجعله للدين تابعا للأخلاق من خلال قوله بالإرادة الخيرة للإنسان؛ حيث يقول: "يبدو أن الإرادة الخيرة هي الشرط الذي لا غنى عنه لكي يكون الإنسان خليقا بالسعادة... ولا تكون خيرة بما تحدثه من أثر أو تحرزه من نجاح، ولا بصلاحيتها للوصول إلى هذا الهدف أو ذاك، بل إنّها تكون ذلك عن طريق فعل الإرادة وحده" (كانط، 2012، ص.18).

إنّها إرادة عاقلة بَوصَلَتُها هو العقل الخالص، ولا تكون كذلك حتى تتوجه به، إنّه هو الذي يرشدها ويوجهها، "لا تفتأ تدفع عن نفسها كل أشكال الهوى علما بأنّ العقل والهوى ضدان لا يجتمعان، كما أنّها لا تفتأ تتجرد من كل أشكال الحظ والغرض، فلا تتعلق بأيّ شيء كائنا ما كان... فإذن انضباط الإرادة بالعقل هو الذي يجعل منها إرادة خيرة ابتداء، لا بواسطة خيرة بنفسها ولا بغيرها... ولما كانت الإرادة عاقلة بعقل خالص، صارت لا تتعلق إلا بالأفعال التي تأتي على وفق الواجب كما يمليه عليها هذا العقل، ولابد أن واجبا لا اعتبار فيه لمادة عارضة ولا توجه فيه لغرض محدود" (الرحمان،، 2000، ص. 36). فالإرادة الطيبة لا تتعلق أبد

بالأغراض مهما كانت، فلا تفعل طمعا في الجزاء الحسن أو خوفا من العقاب بل تفعل الواجب لذات الواجب، فهي ملتزمة التزاما تاما بهذا الواجب؛ وإذا كانت الإرادة الطيبة "تتحقق بواسطة الأوامر، فإن كل أمر تصدر عنه لا تتلقاه مطلقا من غيرها، إنّما هي التي تلقي به إلى ذاتها من داخلها فهي صاحبة التشريع لنفسها... هذا الأمر التشريعي لا يتعلق إلا بصاحب هذه الإرادة وحده، ولا يثمر أخلاقا إلا عنده، وإنّما شرطه الذي يصح به هو أن يتوخى فيه ذو الإرادة أن يكون قانونا كليا يجري على مجموع البشرية" (الرحمان،، 2000، ص.36)

ومن هنا تصبح الإرادة الخيّرة مستقلة بالتشريع، ولا تستمد الأوامر من المتعالي بل تستمدها من ذاتها، وعليه فسيكون الآمر الآدمي، مكان الآمر الإلهي؛ فاصلا بذلك الأخلاق عن الدين حيث يقول (كانط): "إن الأخلاق من جهة ما هي مؤسسة على مفهوم الإنسان بما هو كائن حر، ولكن هو بذلك تحديدا ملزم لنفسه بنفسه من خلال العقل بقوانين لا مشروطة، هي لا تحتاج لا إلى فكرة كائن آخر فوق الإنسان حتى يعرف واجبه، ولا إلى دافع آخر غير القانون نفسه حتى يلاحظه على الأقل إنّ الذّنب ذنبه، حين يجد حاجة من هذا النوع في نفسه، هي على ذلك مما لا يمكن سدّه أو شفاؤه بأيّ شيء آخر وذلك؛ لأن ما لا يصدر من ذات نفسه وحريته، لن يمنحه أي عوض عن النقص الذي في خُلُقيته وهكذا فأن الأخلاق لا تحتاج أبدا فيما يتعلق بذاتها سواء موضوعيا فيما يخص الإرادة أو ذاتيا فيما يخص الاستطاعة إلى الدين، بل بفضل العقل المحض العملي هي مكتفية بذاتها" (كانط،، 2012، ص. 45). هذه الآمرية الآدمية ليست مكتفية بنفسها، بل إنّها تستند إلى الإرادة، وهي إرادة مطلقة وتتصف بكل صفات الكمال والإطلاق والطيبة وغيرها من الصفات، وقد سلك

(كانط) في سبيل قطع الأخلاق عن الدين مسلكين كما وضحهما (طه عبد الرحمان) في: "طريق المبادلة (الرحمان، 2000، ص.39)

الذي يقوم على أساس أخذ المقولات الدينية واستبدالها بغيرها غير معهودة الاستعمال في مجال الأخلاقي؛ كالعقل بدل الإيمان، الإرادة الإنسانية بدل الإرادة الإلهية والتشريع الإنساني للذّات بدل التشريع الإلهي، الخير الأسمى بدل مفهوم النعيم" (كانط، 2012، ص. 45)، أما المسلك الثاني فهو: "طريق المقايسة ويقصد به وضع الأحكام الأخلاقية على مثال الأحكام الدينية، فكما أن هناك أخلاقا من تقرير الدين المُنزل، فينبغي أن تكون هناك أخلاق من تقرير العقل المجرد، وكما أنّ الإله يشرّع فكذلك الإنسان يشرّع القوانين، والإله غير متحيز في التشريع، فكذلك الإنسان ينبغي أن يتجرد من كل البواعث في تشريعه، فإذا كانت القوانين الإلهية تخص الخلق قاطبة فكذلك الأخلاق الإنسانية لابد أن تكون شاملة لكل الإنسانية" (الرحمان، 2000، ص. 39). إن ما قام به كانط من فكرة استبعاد للدّين عن الأخلاق في الحقيقة هي إقصاء للدين بطريقة أخرى، ففي عملية استبدال المقولات الدينية وإحلال مكانها مقولات عقلية هي منهجية؛ لإبعاد الدين عن الميدان الأخلاقي لتصبح الذات الإنسانية مصدر المشرّع للقيم ولا تحتاج إلى من يشرع لها، ومن هنا فلا تحتكم الذات إلا إلى إرادتها التي تهتدي بالعقل الخالص (الرحمان،، 2000، ص. 39).

ومن جهة أخرى يرى (لونغ ستيفن) - في كتابه "خيرية الله، الثيولوجيا، الكنيسة والنظام الاجتماعي"، أن (كانط) مسؤول حول هذا المنحى الخطير في الفصل بين الدين والأخلاق، وذلك ظاهر في البحث الكانطي والبرهنة على وجود الله، "فالإنسان الحديث يرنو أن يكون حرا، ولكن لا يرنو مطلقا إلى الله، بصفة مفاجئة، ليس انتقاد (كانط) لوجود الله هو الذي أثّر في بحثنا عن الله...، جعل

الله ليس له أهمية في التطبيقات الأخلاقية، الحياة الأخلاقية لا يمكن أن تكون بدون الله، لكن أدلة كانط الأخلاقية على وجود الله لها ضرر على الثيولوجيا أكثر من الفلاسفة الذين طوروا الأخلاق من دون الله؛ سؤال (كانط) كان عميقا: كيف يمكن أن نفكر في الله بشكل مفهوم؟ ... ولكن أجوبته كانت تضليلية، فأجوبته كانت تعني فقدان الثيولوجيا في البحث عن الأخلاق"(Stephen, 2007)

لمتسائل أن يتسائل: ألا يعد في إيراد (كانط) لحضور الإله كشرط لوجود الحرية ولخلود الروح أن الإله له أساس في الأخلاق؟ ذلك "أن الإنسان وإن تجرد من طلب السعادة في هذا العالم، قياما بواجبه لذاته، وتحقيقا للفضيلة، فإنه يأمل أن يرى فضيلته وسعادته قد ازدوجتا إحداهما بالأخرى؛ ولا أقدر على أن يحقق له هذا الازدواج في العالم الآخر من الإله الأخلاقي؛ ولا يخفى ما في هذا التسليم اللاحق من قلب للحقائق، إذ ما

كان فرعا صار أصلا، وما كان أصلا صار فرعا. ثم إن هذا الجمع بين الفضيلة والسعادة هو مجرد خير مؤمل لأن الدين عند (كانط)، لا يجيب إلا عن السؤال: ماذا يُسمح لي بأن آمله؟ حتى هذا الخير لا يجوز التعلق به... علما بأن العمل الأخلاقي عنده لا يتعلق إلا بالخير لذاته. ومن هنا يتبن أن استدراك (كانط) وإلحاقه وجود الإله بالأخلاق هو كَلا إلحاق، إذ لا أثر له في العمل الأخلاقي ولو في صورة رجاء في الإله" (الرحمان ، 2014، ص.62)

هذه المنهجية الكانطية في الفصل بين الدين والأخلاق نجدها أيضا عند تشارلز داروين (Charles Robert Darwin)، ومع نيتشه (Friedrich Nietzsche)، وبرتراند راسل، (Bertrand Russell)؛ لتتوسع دائرة الفصل بين الدين والأخلاق مع حركة العلمية الحديثة "التي تؤكد على إستقلالية الأخلاق عن الدين، ومع ذلك فهذه الحركة تكشف لنا أن كل فكر أو نشاط أخلاقي لابد أن ينحو بطبيعته صوب الدين أو يتطابق معه، ... من الممكن أن نتصور رجل دين لا أخلاق له، فالدين نوع من المعرفة، والأخلاق هي الحياة التي يحياها الإنسان وفقا لهذه المعرفة، ... فالدين هو إجابة على السؤال: كيف تفكر وكيف تؤمن؟ بينما الأخلاق إجابة على سؤال: كيف تحكم الرغبة، كيف تهدف، أو كيف تحيا وكيف تتصرف؟ تنطوي إلهامات عالم الغيب على مطلب أن نحيا وفقا لهذه الرؤية الكونية الواسعة اللانهائية (بيجوفيتش، 1997، ص.198).

فلا يمكن إحداث فصل بين الأخلاق والدين، فلا يتصور أن توجد أخلاق من دون إله، حتى عند أولئك الذين يدّعون الإلحاد فقد يوجد "ملحدون على أخلاق، ولكن لا يوجد إلحاد أخلاقي، والسبب هو أن أخلاقيات اللاديني ترجع في مصدرها إلى الدين، دين ظهر في الماضي ثم اختفى في عالم النسيان، ولكنه ترك بصماته قوية على الأشياء المحيطة، تؤثر وتشع من خلال الأسرة والأدب والأفلام والطرز المعمارية، لقد غربت الشمس حقا، ولكن الدفء الذي يشع في جوف الليل مصدره شمس النهار السابق" (بيجوفيتش،، 1997، ص. 209)، ومن هنا يظهر ما للدين من أهمية في تكوين الأخلاق إن لم نقل أن هناك صلة وشيجة بين الدين والأخلاق، ويعد ضربا من المستحيل، فلا يُتصور حالة الفصام بينهما.

- الإنسانوية وحركة العصر الجديد (New age):

العالم الذي نحيا فيه اليوم، عالم متغير متحول، كم هائل من السيولة في شتى جوانب الحياة. إننا في هذا العصر "نشهد اليوم ثورة عالمية في المجال الثقافي، تهدف لتغيير جوهر الإنسان ذاته. فإذا كانت النخب المالية العالمية تنشط تحت راية الإنسانية والتنوير والعقلانية، بمعنى أنها كانت قائمة على أسس دنيوية صرفة، مضمون حقيقتها محاربة الإيمان بالله، التي تحاول أن تلغي سلطة الله واضعة مكانها القوة العالمية العليا للإنسان بصورة المسيح الدجال" (تشيتفيريكوفا، 2020، ص.5؛ تشيتفيريكوفا، 2020)، أو أي صورة أو أنموذج إلهي آخر، فقد ولّى عصر الصبيانية البشرية في اتخاذ أنواعا من الآلهة المجسدة في العصور القديمة، لينفتح العصر الجديد حول معنى آخر للعبودية القائمة نحو تأليه الإنسان.

إن الطريق نحو الدين الجديد -تأليه الإنسان- يقوم بالأساس على محاربة التصورات المفاهيم الدينية التقليدية، حسب تصور حركة العصر الجديد، ويقصد بها –المفاهيم- ما تحمله الديانات التوحيدية من قيم إيمانية بالله وتصور الإنسان حول الوجود الذي استمده من المعرفة الوحيانية، لذا فما "الدعوة إلى دين جديد إلا وسيلة لتحقيق هذه السيطرة على الشعوب التي عرفتها البشرية إذا، فهم يريدون أن يستبدلوا دينا يتوافق مع ظروف العصر وطبيعته...ينظرون إلى الديانات التي استقرت عليها شعوب العالم، مثل المسيحية واليهودية والإسلامية والبوذية وغيرها، على أنّها عقبة كأداء في طريقهم لتثبيت سيطرتهم على شعوب العالم، فهذه الديانات، بما اشتملت عليه من قيم أخلاقية، وتعاليم وأفكار مازالت قابلة للتكيف مع حركة التاريخ، ومازالت تستحوذ على عقول وقلوب جماهير واسعة، وتشكل محركا قويا لفاعليتهم السياسية، والاجتماعية"(تشيتفيريكوفا، 2020، صفحة 19)

إنّها دعوة إلى محاربة القيم التقليدية في هذه الديانات؛ لأنها تقف بالأساس حجر عثرة في تحقيق مشروع السيطرة على الأرض وفق منظور الظلماني، وتهيئتها لحكم لوسفير (تشيتفيريكوفا، 2020، ص. 33) Lucifer (إبليس)، إنّهم يريدون القطيعة الروحية مع الانتماء الإنساني لله، خاصة مع الأب الأعلى للبشرية، آدم عليه السلام، باعتبار أنه يمثل أوليا ورمزيا مثالا للعبودية وللاتصال الروحي الأول للبشر مع الله، وهم بذلك يقومون بقطع الصلة الإلهية مع الحقيقة المطلقة، أي " القطيعة مع آدم. إن روح قايين وروح بابل تلتقيان، وتنموان في نقطة واحدة: أنا لا أريد أن أكون آدم" (عيسى)[2]تقوم فكرتهم الأساسية على التخلص من صورة الله التي كانت تعني في وعيهم تقييد حريتهم، وتغيير الطبيعة البشرية، وبناء الإنسان الجديد، ومن هنا يمكن عدهم أول بشر عابرين transhumanists (تشيتفيريكوفا، 2020، ص. 28).

ولنا في المجال التداولي الإسلامي حديث يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم "**إن الله خلق أدم على صورته**"[3]هذه الصورة المعبرة عن الحقيقة الإلهية؛ بمعنى خلافة الإنسان على الأرض، هذه الخلافة التي وضعت في الإنسان باعتباره مختصرا للكون سره الكون وحاملا للأمانة؛ لأنه جمع العالمي الشهادة والبرزخ، ومن هنا جاء سر تعظيمه. هذه الصورة المعبرة عن الحقيقة الإلهية؛ بمعنى خلافة الإنسان على الأرض، هذه الخلافة التي وضعت في الإنسان باعتباره مختصرا للكون سره الكون وحاملا للأمانة؛ لأنه جمع العالمي الشهادة والبرزخ، ومن هنا جاء سر تعظيمه. لتجسيد المشروع الذي يسعون له اليوم، فقد غزو جميع ميادين الحياة، انطلاقا من القاعدة لاتضع بيضك في سلة واحدة؛"لذلك نشهد في أيامنا هذه هجوم اللادينين في المجالات كافّة: الاقتصادية، والمالية، والسياسية، والإدارية، والتعليم والثقافة (الأدب والسينما والموسيقا، والتلفزيون، والأعمال الاستعراضية). كل شيء موجه نحو تغيير

بناء الإنسان الروحي جذريّا. من الواضح أن الدوائر الحاكمة بدأت تشطب الآراء التنويرية، والإنسانية، لكنهم لا يستطيعون أن يعلنوا، حتى الآن بصورة جليّة، أن برنامجهم الرسمي هو مناهضة الله، والولاء للشيطان" (تشيتفيريكوفا، 2020، ص.8).

إن من مظاهر الرمزية في تمرد الإنسانيون على كل ماله صلة بالإله، تظهر جليا "هذه الأيام في فن عمارة ما بعد الحداثة، الذي أنتج الأبراج العالية ناطحات السحاب من الأرض حتى السماء، ومن السماء حتى الأرض، التي قال عنها لوسكي: برج بابل هو اختراق غاصب في الحضارة التي تخلو من الله، وهي تعبير عن رغبة البشر الأرضيّين الجامحة للسيطرة على السماء" (تشيتفيريكوفا، 2020، ص. 27)، أو هو إعلان جديد لسيادة وسيطرة الإنسان على الأرض.وقد نقلت هذه النبوءة الظلمانية اللوسفيرية على لسان (كريستوفر مارلو) "الفرض الأساسي ل: (مارلو)[4] في كتابه **فاوست**[5] الذي أعلن مسبقا، وفاة الإله (**أيّها الإنسان عن طريق عقلك القوي تصبح إلها المالك والسّيد لكل العناصر**). هكذا تم تكريس القضاء على الأبعاد السامية للإنسان، والرفض لكلّ القيم المطلقة "(روجيه، 2002، ص.95).

وكخلاصة حول المفهوم الإنسانوية يمكن لنا أن نُلَخِصَهُ؛ ليكون أقرب إلى الفهم، فنقول: يسعى هذا التوجه إلى الخلاص وإنقاذ الإنسان نفسه عن طريق العلم والمعرفة، مستبعدا كل ما له علاقة بالبُعد الروحي وخاصة الإيمان بالمتعالي، "إنه- تيار- يتلخص في فهم الإنسان على أنه ذاته ينظر إليه فقط على أنه مرحلة انتقالية على طريق ما بعد الإنسان (posthuman)، الكائن الذي سوف يمتلك ذكاء خارقا، وسيكون حرا من الأمراض، وسيتوصل إلى الخلود، والشباب والحيوية الدائمين، بمعنى أنه سيتحول كاملا إلى مخلوق اصطناعي يمتلك ذكاءً اصطناعيا. ويخطط للوصول إلى هذا بمساعدة العلوم الحديثة المتمثلة بتكنولوجيا المعلومات والمعرفة النانوية، والبيولوجية...ونحن نرى بالفعل أن الاختراعات الأخيرة في العلوم والتكنولوجيا موجهة نحو إحداث تغييرات جذرية على المستوى الإنساني، وعالمه الروحي، وحتى على مظهره وجسده" (تشيتفيريكوفا، 2020، ص. 10)، والخلود لا يمكن تصوره إلا عن طريق العلم والمعرفة والتقنية. والإنسان الخالد هو الذي لا يقبل الفناء، ويطلع عليه **إنسآلة** (humanoid robot) بمعنى روبوت آلي يشبه الإنسان مع إمكانية نقل المشاعر والعواطف له، ومن هنا يكون الإنسان الخالد الذي يتجاوز فكرة الفناء أو استخلاص فكرة الخلود من خلال فك شيفرة الحمض النووي.[6]

- الغنوصية الروح المحرك للإنسانوية:

لكل تيار فكري وأنموذج معرفي مرجعية يسند إليها لتأسيس أفكاره الرئيسية التي يبتغي تجسديها على منصة الحياة، ويُعد الفكر الغنوصي أهم الروافد الفكرية والمحرك الروحي لفعاليتها المعرفية لبثث روح الحماسة في الفعل، وعليه فالغنوصية (Gnosticism) تعني بالأساس:

1- الغنوصية رؤية واحدية مغلقة، ومنظومة حلولية عضوية؛ ترد كل الظواهر إلى مبدأ واحد، يمكن أن يكون الإله، ويمكن أن يكون الإنسان، ويمكن أن يكون الطبيعة.

2- الإنسان يعيش في هذه الدنيا ولا يعرف سواها

في المنظومة الغنوصية التقليدية ينسحب الإنسان من هذا العالم ليبدأ رحلة العودة إلى أصله الإلهي، ليلتحم بـ البليروما ويفنى في الإله (تشيتفيريكوفا، 2020، ص. 237)

3-طريق الخلاص هو الكشف عن العنصر الإلهي في النفس. الغنوصية، التي أحضرها إلى الأرض أحد(تشيتفيريكوفا، 2020، صفحة 31)**الأيونات**[7]

أما عن الجذور التاريخية التي تستمد منها الغنوصية مبادئها وأفكارها فهي تمتد في التاريخ القديم عبر الديانات الشرقية القديمة مثل "العبادات الفارسية بثنويتها الكاملة المتمثلة في الصراع الدائر بين أورمازد إله الخير والنور وأهريمان إله الشر والظلام. كما دخلت بعض المفاهيم من العبادات المصرية القديمة، مثل تأليه الإنسان، والعنصر الجنسي، في عملية الخلق. وامتزجت بكل هذا عناصر من الفكر الإغريقي الذي كان ينطوي على الإيمان بأن ثمة حكمة خفية في الأساطير الشرقية. وقد تبنى بعض الفلاسفة اليونانيين أفكارا من العبادات الشرقية، كما أن عبادات الأسرار وجدت طريقها إلى اليونان. وقد قامت الأفلاطونية المحدثة بالتفريق، وبحدة بين الإله الوحد المتسامي والإله الصانع المادي، وجعلت معرفة الأول معرفة باطنية غنوصية. ومن أهم مصادر الغنوصية التراث الديني اليهودي"(المسيري، د-ت، ص. 297)

نلاحظ أن الغنوصية عبارة عن مزيج انتقائي وخلط لكثير من الأفكار الدينية الشرقية المختلفة، وبما تحتويه من روحانيات وديانات طبيعية وضعية، لتعبر عن رؤيتها عبر هذا المزج عن تصورها للعالم بما يحتويه من عناصر من الكون ولطبيعة والإنسان والإله، **كمستيريات** مغلقة بالكاد أن تكون واضحة، وخاصة أنها تعتبر هذه المعارف ضمن هذا النطاق لا يفصح به إلا لخواص المتلقين.

- الإنسانوية وخصائص الإنسان الجديد:

إن الإنسان الذي ترومه الإنسانوية من خلال رؤيتها إلى العالم، يمتاز بخصائص مختلفة عن الإنسان الآدمي. فهي تبتغي خلقا مغايرا لما وضعه الإله، وعليه فإن أهم خصائصه فيما يلي (تشيتفيريكوفا، 2020، ص. 14):

1- أن يتجاوز الإنسان طبيعته البشرية، ويصبح إنسانا خارقا (سوبرمان)، خالداً، فضائياً، ثم يصبح (الإنسان الإله)، مبدع الأكوان والعوالم؛ الإنسان الجديد من حيث الجوهر هو محرك الألفية الثالثة، إنه يدمج بين زهد العقل والروح من جهة، وتطور العلم والتكنولوجيا.

2- الديانات ينبغي أن تقرأ من جديد من زاوية نظر جديدة، متناسبة مع روح العصر.

3- وطن الإنسان الجديد ليس البلد وليس الأرض، ولا حتى المجموعة الشمسية. وطنه المجرة والكون أجمع.

4- خلود الجسد ليس الهدف النهائي للإنسان الجديد، لكنها المرحلة الأولى على الطريق.

5- مُثل الإنسان الجديد هي الحرية الكاملة لنفسه، والحرية الكاملة للآخرين، الحرية للجميع وللفرد من محدودية الجسد، والقوانين الفيزيائية، والزمان والمكان، عاجلا أم آجلا سوف يغادر البشر الجدد مهدهم الأرضي، جاعلين من الفضاء بيتهم وسيصبحون آلهة طيّبين لكل البشرية، آخذين على عاتقهم مسؤولية تطوير الحضارة الأرضية".

- بين الروحانية الحقة والزائفة والتيارات الإنسانوية الحيوية:

يمكن الإشارة إلى أن النزعة الروحانية تختلف أيضا عن المذاهب الروحية المحدثة في طرق بحث مختلف القضايا؛ فقد وقع أيضًا التزييف في نسبة المذاهب الحدسية الحديثة، واستعمالها كمذاهب روحية خاصة مع برغسون الذي حاول انتقاد العقلانية؛ "وهو بدلا من أن يبحث فوق العقل على ما يصلح نقائصه، بحث بالعكس في ما تحت العقل، وبالتالي من أن يتوجه إلى الحدس العرفاني الصحيح (أي الإلهام الرّباني القويم أو الرّوحاني الصحيح) وهو يجهله تمامًا كجهل العقلانيين له، التجأ إلى ما يزعم أنه حدس من النّمط الحسي والحيوي بمفهوم في غاية الغموض والتشويش، يخلط فيه الحدس المحسوس بحصر المعنى مع القوى الأشد غموضا للغريزة والشعور"(غينون، 2013، ص.329).

حتى وإن أحسنا الظّن بالمذاهب الروحية كالبرغسونية، إلاّ أنّ واجب المعرفة العرفانية، هو تبيين زيف تلك المذاهب وأخطائها، ولعل السؤال المتبادر للذهن هو: "لماذا إذن يستولد منها الغربيون عقيدة جديدة في تلك الحالة الخاصة بينما لم يفكر أحد في شيء من ذلك من قبل! الحق أنهم ثاروا على تلك المادية المنتشرة في العالم فعملوا على إيجاد وسيلة سرية تعمل على هدمها. ولكن إذا اعتبرنا أن غايتهم من ذلك حسنة إلا أن الوسائل التي استعملوها لبلوغ غايتهم لم تكن كذلك. وحقيقة أن الباطل هو شر دائما ولذا لا يمكننا أن نوافق على ما يدعيه البعض من أن الغاية تبرر الواسطة وفي الواقع إن الواسطة إذا لم تكن صالحة تماما فإنها كثيرا ما تنقلب سريعا ضد الغاية المرجوة" (يحيى، 1931، ص.258).

يعتبر غينون أن المذاهب الروحانية الحديثة خطرها أكبر من المادية نفسها، بل هي مذاهب مادية من نوع آخر، حيث يقول: "فيمكننا أن نعتبر أن ما يسمى الروحانية الحديثة ما هي في الحقيقة إلا مادية من نوع

آخر، بل أكثر ضررا من المادية لأنها تخلق الأوهام والتخيلات في حقيقة طبيعتها حتى تتمكن من التأثير في الذين لم يقبلوا الآراء المادية الصريحة الشائعة" (يحيى، 1931، ص.259).

وهنا يبيّن غينون منشأ الغَلط الذي وقع فيه أصحاب الروحانية الزائفة، مرده إلى "التصور الذي جعل الإنسان الحي يتكون من جزئين أو عنصرين فقط – وهو ما انتشر في الفلسفة الحديثة خاصة وفي العقل الغربي عامة – هذا التصور هو الذي سبب هذا الاضطراب، لأنّه صير النّاس جاهلين بالفرق الأساسي بين النّفس والروح. وإن طبيعة القدرة التي تظهر في الأشخاص الذين ينومون تنويما مغناطيسيا – وهم الذين يسمونهم ((الروحانيون الحديثون)) بالوسطاء – ليست ((روحية)) بالمرة بل هي ((نفسية)) تماما، وهي تخص الحالات التي يمكن وصفها بأنها ألطف من الحالات العادية كما أنها أكثر اتساعا وأعلى منزلة أيضا في درجات الوجود، كما يجب أن تكون الحالات الروحية. وإنماء مثل هذه القوى في الإنسان هو إنماء الإحساس بالاتساع لا الإحساس بالارتفاع" (يحيى، 1931، ص. 257).

وهنا يوضح لنا غينون معنى الظاهر على حقيقته بأنّه، هو متعلق بالكائن في تجليه الشخصي، إما عن طريق العقل أو النفس، وأنّ البِنية العميقة الباطنية تسمو إلى ما فوق طور العقل والنفس معًا، لذا "ينبغي أن نُوجه بحثنا نحو نقطة واحدة: هي إن كل ما يسمى (بالظواهر) إما أن يصدر من القوى العقلية في الحالات العادية أو من قوى الحالات النفسية الأخرى. هذه الظواهر تمثل فقط الجزء الظاهري من الكائن. وواضح من الكلمات نفسها أن (الظواهر) – من أي نوع أو درجة – هي كلها من الظاهر وليست من الباطن، أي أنها تعديلات سطحية للكائن وليست عناصر مكونة لذاته الباطنية العميقة. والقوى التي يمكن تسميتها تماما باطنية ينبغي أن يبحث عنها في حالات تختلف تماما عن الحالات النفسية وتسمو كثيرا عن الظواهر العادية أو الشاذة" (يحيى، 1931، ص. 265).

والنتيجة التي نخلص إليها بعد تحقيق معنى الظاهر والباطن، أن حقيقة العلم الحقيقي، لابد أن يتعالى عن البعد الأدنى، "لا يمكن أن يتكون إلا إذا بدأ من فوق، أعني من ((مبادئ عالية)) نطبقها على الوقائع التي ليست في الحقيقة إلا نتائج لتلك المبادئ تقرب أو تبعد عنها. وهذا نقيض ما يفعله العلم الغربي الحديث تماما، ذلك العلم الذي يريد أن يبدأ من الوقائع ليستخرج منها تفسيرا شاملا كما لو كان الأكثر يمكن أن يستخرج من الأقل وكما لو كان الأوضع يتضمن الأرفع، وكما لو كانت المادة يمكن أن تكون معياراً للروح وحداً لها" (يحيى، 1931، ص. 814).

- موقف الرؤية الرّوحانية من الأنوار المنكسفة:

النزعة الإنسانية الروحانية هي على خلاف النزعة الإنسانية التي كانت نتاج النهضة الأوروبية هذه "النزعة الإنسانية الأوروبية كانت قد تشكلت كرد فعل على هيمنة الدين أو الكنيسة على النفوس والأرواح، وهي هيمنة خانقة أحيانا...أي أن إنسانية عصر النهضة كانت تثبّت الإنسان

وتنكر السماء، بمعنى أنها من شدة تركيزها على الإنسان على الإنسان واهتمامها به نسيت الله، أما النّزعة الإنسانية الروحانية التي ندعو إليها فهي على عكس تضع الإنسان في مركز المشروع الإلهي. إنّها تهتم بالله والإنسان في آن معا، بمعنى آخر أنها لا تضع الإنسان في مركز المشروع الإنساني المقطوع عن التعالي الروحاني والذي ينظر إلى نفسه بكل غرور وتبجح وكأنه مكتف بذاته، ثم يصل في نهاية المطاف إلى العدمية المادية وتدمير الطبيعة" (جوفرو، 2016، ص. 64).

كما يمكن الإشارة إلى أن النزعة الإنسانية الروحانية تختلف أيضا عن المذاهب الروحية المحدثة في علاج المشكلات الحضارية، فقد وقع أيضا التزييف في نسبة المذاهب الحدسية الحديثة، واستعمالها كمذاهب روحية خاصة مع برغسون الذي حاول انتقاد العقلانية "وهو بدلا من أن يبحث فوق العقل على ما يصلح نقائصه، بحث بالعكس فيما تحت العقل، وبالتالي من أن يتوجه إلى الحدس العرفاني الصحيح (أي الإلهام الرّباني القويم أو الرّوحاني الصحيح) وهو يجهله تماما كجهل العقلانيين له، التجأ إلى ما يزعم أنه حدس من النمط الحسي والحيوي بمفهوم في غاية الغموض والتشويش، يخلط فيه الحدس المحسوس بحصر المعنى مع القوى الأشد غموضا للغريزة والشعور" (غينون، 2013، ص. 329).

فلملمح الانتقاد للأنوار الغربية أنّها "وضعت الأنا البشرية في مركز العالم، وهي بذلك قدّمت للوجود البشري كله القاعدة الأكثر هشاشة وقلبت بذلك حضارتنا في مهاوي اليأس والقلق والعدمية" (جوفرو، 2016، ص. 64)، وفي هذا الجانب لا يفوت أن نتحدث على مشروع محمد أركون الذي يسعى من خلاله إلى وضع وإنشاء تصور "ذا نزعة إنسانية إسلامية مرتكزة في نهاية المطاف على عقل التنوير، يبدو لنا لهذا السبب شيئا ضروريا ولكنه غير كاف، لماذا نقول غير كاف؟ لأم هذا العقل كشف عن جوانبه المؤذية الضارة، والضالة المنحرفة داخل التاريخ الأوروبي طيلة القرنين الماضيين، بالتالي فوحده العقل الموسع عن طريق العقل العُلوي أو الفوقي هو وحده القادر على تقديم حلول للمستقبل"(جوفرو، 2016، ص. 66).

كما أن النزعة الإنسانية التي نجدها عند التوحيدي وابن مسكويه وغيرهما "لا يمكن أن نتصورها خارج الطّابع الرّوحاني للأخلاق الإسلامية. قلنا الطابع الروحاني ولم نقل الطابع العقائدي. الأخلاق الإسلامية تتحلى بميزة أنّها شمولية فهي تحاول تحقيق الانسجام بين مختلف مكونات الشخصية البشرية" (جوفرو، 2016، ص.66)، حتى أن المعتزلة لم يكونوا عقلانيين علانية صرفة كما يدعي البعض، "العقل المقصود هنا ليس ذلك العقل المستقل كليا عن الدين كعقل التنوير الأوروبي، بل هو بالأحرى عقل خاضع لإرادة الله وللنظام المرسخ من قبله... حتى ابن رشد لم يكن على عكس ما يتوهم هواة الأفكار المتسرعة، عقلانيا صرفا، بل كان أولا وقبل كل شيء

مسلما ملتزما بالتراث وفقهها وقاضيا، وكان مشروعه الفكري يندرج داخل إطار المبدأ الإسلامي الأساسي للتوحيد الإلهي" (جوفرو، 2016، ص.95).

هذا ما يستبعد الفهم المُبتَسر الذي تريد بعض الأوساط ترويجه باعتبار العقلانية منفصلة عن الروح الديني كما ادّعوا ذلك، فيما سبق الإشارة إليه.

- نظرية الإنسان الكامل:

لما نتحدث عن قضية الإنسان الكامل، نريد الإشارة على أن جميع الديانات الإلهية والوضعية، وكذا الفلسفات الشرقية منها والغربية، كان مطلبا نموذج الإنسان الكامل، فمثلا نجد البوذية تصر هذا التصور في كلمة بُوذا، وتراه الهندوسية في المرحلة التي يبلغها الروحاني وهي النيرفانا، وتجله اليهودية في الشخص المختار، وترومه المسيحية في فكرة الخلاص، ويتصوره نيتشه في السوبرمان، وغيرها من التصورات الكثيرة حول تلك النظرية. لكن الإنسان الكامل لا يمكنه أن تحتويه ثقافة إنسانية دون أخرى، أو مجال مخصوص، ذلك أن المفاسد الفضائل لا يمكن أن توجد بعينها، بل هي موزعة بين أصناف البشر على اختلاف نِحَلِهِم، "فلكل أمة فضائل ورذائل ولكل قوم محاسن ومساوئ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلا ها وعقدها كمال وتفسير؛ وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مفاضة على جميع الخلق، مفضوضةٌ بين كلهم. فلئن لفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم؛ وللروم الحكمة؛ وللهند الفكر والرؤية والخفة والسحر والأناة؛ وللترك الشجاعة والإقدام؛ وللزنج الصبر والكد والفرح؛ وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان. ثم إنّ هذه الفضائل المذكورة، في هذه الأمم المشهورة، ليست لكلّ واحد من أفرادها، بل هي الشائعة بينها، ثم في جملتها من هو عار من جميعها، وموسوم بأضدادها، يعني أنه لا تخلو الفرس من جاهل بالسياسة، خال من الأدب، داخل في الرّعاع والهمج، وكذلك العرب لا تخلو من جبان جاهل طيّاش بخيل عيّ وكذلك الهند والرّوم وغيرهم، فعلى هذا إذا قوبل أهل الفضل والكمال من الرّوم بأهل الفضل والكمال من الفرس، تلاقوا على صراط مستقيم، ولم يكن بينهم تفاوت إلّا في مقادير الفضل وحدود الكمال، وتلك لا تخصّ بل تلمّ. وكذلك إذا قوبل أهل النقص والرذيلة من أمّة بأهل النقص والخساسة من أمّة أخرى، تلاقوا على نهج واحد، ولم يقع بينهم تفاوت إلّا في الأقدار والحدود، وتلك لا يلتفت إليها، ولا يعار ليها، فقد بان بهذا الكشف أنّ الأمم كلّها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة، واختيار الفكرة. ولم يكن بعد ذلك إلّا ما يتنازعه الناس بينهم بالنسبة الترابيّة، والعادة المنشئيّة والهوى الغالب من النّفس الغضبيّة، والنّزاع الهائج من القوّة الشهويّة"(التوحيدي، 1424 هـ، ص.72).

فجميع الفضائل مودعة في الإنسان الكامل. إنّنا نتحدث عن رؤية أخلاقية متكاملة، لا يمكن لها أن تستبعد طائفة من الفضائل التي عرفها البشر، إذا تحدثنا عن هذا المعنى ندرك جيدا لماذا اختار بعض العرفاء منهج التكامل ففي المدونة العرفانية لجلال الدين الرومي، نجد منهجا للتكامل المعرفي الأخلاقي من خلال ما حاول توظيفه في كتابه المثنوي، من الأمثلة والقصص اليونانية، خاصة في جانبها الأخلاقي بعد أن ضمنها إلى المجال التداولي الإسلامية، وبعد أن حذف تلك الإحالات والإيحاءات الميتافيزيقية الوثنية الإغريقية، جاعلا منها أكثر دلالة تهذيب النفس وإصلاح الذات الإنسانية؛ أي فلسفة أخلاقية إنسانية بكل ما قد تعنيه هذه الكلمة، فقد "وجّه الرومي دعوته إلى الفرد ناصحا له أن ينهمك في محاولة دائبة لاكتشاف ذاته، من أجل الوصول إلى إصلاح النفس، ثم صياغتها، بحسب المثل العليا التي آمن الرومي بها، هذه المثل تقوم أساسا على النواحي الإيجابية في جميع الأديان، لا سيما الإسلام والمسيحية، لكنه لا يكتفي بالتعاليم الدينية المذكورة، وإنما نجد في المثنوي تأثيرا شديدا بالأفكار والفلسفات الإغريبيقية والهيلينية، من مثل الفيثاغورية والأورفية، ثم الأبيقيورية، والرواقية، وبالطبع الأفلاطونية الجديدة" (الملائكة، 2016، ص. 216).

فقد جاء في ضبط مفهوم الإنسان الكامل عند إخوان الصفا بأنه، "الفارسي النسبة، العربي الدّين، الحنفي المذهب، العراقي الآداب، العبراني المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النُسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة، الملكي الأخلاق، الرّباني الرأي، الإلهي المعارف، الصمداني"(الصفا، صفحة 378)فقد تضمن هذا المفهوم التصور الواسع الذي عليه جُمّاعُ المحاسن كلها، هذا المفهوم ليس للحصر بقدر ما هو انفتاح على العالم الإنساني كله، فالمحاسن والفضائل والمحامد، والحكم، كلها محض تفضُّلات وتكرُّمات أُودعت في الخلق، وهي ضالّة الإنسان الكامل الذي هو إنسان عالمي وكوني. وقد عبر (ابن عربي) عن أهمية بُعد الكوني في حياة الإنسانية، حيث حاولت تحقيق الأمة العالمية الموحدة، فقد تضمن كتابه "فصوص الحكم" البحث عن تلك الأبعاد التي تمثلت في الحكم التي جاء بها كل نبي من الأنبياء، أولئك الأنبياء الذين قدّموا للإنسانية الجديد حول مصيرها كلما تقادمت الأزمنة ونسوا العلاقة العهدية في ضمير الأنا الداخلي الذي ما برح يستيقظ بين الفينة والأخرى عن طريق الأنبياء والحكماء، حيث أكدوا على البعد العملي في حياة الإنسانية لا مجرد ما يُردد من معتقدات، وقد عبر (ابن عربي) عن ذلك التوجه الإنسان الكامل في أسمى الابتهالات حين قال:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة	****	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	****	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت	****	ركائبه فالحب ديني وإيماني[8]

ولعل قائل من أصحاب النزعة النصوصية التمامية: أليست هذه دعوة مبطَّنة إلى الانسلاخ الهُووي (الهُوية أياً كانت) ؟، نقول: بل هي دعوة إلى الانفتاح على الحكم الإنسانية والأديان الأخرى بما هي محاسن، فقد سأل سلمان الفارسي الرسول صلى الله عليه وسلم عن مصير المزدكيين الذين كانوا أصحاب محاسن وفضائل وتقوى، "فقال: هم في النار، فقال سلمان : فأظلمت علي الأرض فأنزل الله قوله تعالى: "إنّ الذِين ءامَنُوا والذِينَ هَادُوا والنَّصَارى والصَّابِينَ مَن ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُم أَجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِم وَلاَ خَوفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُون "البقرة الآية 62" (الواحدي، 1991، ص. 28). والمزدكيين هو الصابئة. فالإنسان الكامل العالمي الذي تم صقله وفق التصور الروحاني وهو الكائن الوحيد الذي يمكنه أن يقوم بإتمام وإكمال الرحلة الإنسانية النبيلة.

- الإنسان الكامل والسوبرمان النتشوي:

يبشّر (نيتشه) بميلاد الإنسان الأعلى، وبظهوره وفق تنبؤاته على لسان زرادشت، إذ يقول: "إنّني أعلّمكم الإنسان الأعلى. الإنسان شيء لابّد من تجاوزه. فما الذي فعلتم كي تتجاوزوه؟ كل الكائنات ظلّت حتّى الساعة تبدع أشياء فوق منزلتها؛ وأنتم أتريدون أن تكونوا حركة الجزر في هذا الدّفق العظيم فتفضّلوا العودة إلى منزلة الحيوان على مجاوزة الإنسان؟"(نيتشه، 2007، ص ص. 40-41)، ولن يتحقق مرور الإنسانية إلى هذا الإنسان الأعلى إلا عبر مراحل ثلاث حيث يقول: "أذكر لكم ثلاث تحوّلات للعقل: كيف يتحوّل العقل إلى جمل، والجمل إلى أسد، والأسد إلى طفل بالنهاية"(نيتشه، 2007، ص. 61)، ففي البداية تتحمل الإنسانية الأثقال والأحمال والظلم ثم تنتفض مثل الأسد لتنتقم ثم تعود إلى براءة مثل براءة الولد، وكأن الإنسان الأعلى يشبه في براءته براءة الولد، إنّه إنسان غير اضطغاني فقط، بل يعيش النّقاهة والبساطة.إن مهمة الإنسان الأعلى وفق الرؤية النتشوية إلى العالم هو إنسان "خالق للقيم يضع الأشياء من القيم ما يريد، مما يؤدي إلى تحقيق الغاية من الإنسانية... فهو حرّ كلّ الحرية في أن يضع شرعة القيم التي يرتئيها".(نيتشه، 1975، ص. 264) إنّه إنسان رائي للقيم، يصنع لوحة القيم التي تليق به، ولا يحتاج إلى المتعالي، بل هو الإنسان الأعلى.

فقد تناول (محمد إقبال) دراسة معنى السوبرمان عند الفيلسوف الألماني نيتشه، الذي حاول- نيتشه- أن يقدّم نظرته على تشل قوى حيوية خالدة، "لكن نيتشه باء بالفشل، ويرجع فشله في الأصل إلى تأثره بآراء أسلافه من المفكرين، أمثال شوبنهاور وداروين ولانج، تأثرا أعماه عن فهم المعنى الحقيقي لرؤياه فانساق إلى محاولة تحقيقها في نظم مثل التطرف الإستقراطي بدلا من البحث عن قاعدة روحية تكتمل بها الناحية الإلهية التي في نفوس الدهماء والعوام، فتتفتح له أبواب مستقبل لاحد له ولا نهاية، وهكذا كان الفشل نصيب عبقري

رسمت قواه الداخلية وحدها حدود رؤياه، وظل عقيم الإنتاج لأن حياته الروحية كان يعزوها هداية خارجية خبيرة (إقبال، 2007، ص.259).

فقد وضع إقبال نيتشه في الحلقة الوسط بين الأفلاك وما وراء الأفلاك، بمعنى أن نيتشه قد توصل إلى فهم الجانب الإلهي في النفس الإنسانية، فاندفع خارجا عن أسار عالم الفلك في سيره للطريق الروحي، لكن ما لبث أن تردد في الطريق وفشل وقطع مواصلة الرّحلة، لذا بقيت روحه قلقة ومعلقة على هذا النحو، حيث يعبر إقبال بقوله: لقد ظل في لا ولم يمض نحو إلا (إقبال، 2007، ص.260). ويرجع إقبال سبب ذلك أنه نيتشه كان يفتقد إلى مرشد روحاني، أي :"افتقاره إلى الهداية روحية خبيرة، ليته عاش في عصر المجدد الكبير مولانا أحمد السرهندي، لكان إذن قد وقف على قمة السرور السرمدي" (إقبال، 2007، ص. 261) . وإلا كان نيتشه قد أكمل معراجه الروحي، ولذلك فقد كان يراه إقبال أنه ليس مجنون بقدر ما هو مجذوب، ولعل هذا الفرق "لم يدركه الأوروبيون، ولذلك فقد جَنوا على نيتشه، أما علم النفس الإسلامي، أو التصوف الحقيقي فهو أقدر على تصور المعنى الحقيقي لمفهوم الجنون أو الجذب الروحي، أن نيتشه ظاهرة نفسية إذا نظرنا إليها في ضوئه" (إقبال، 2007، ص.262).

أضف إلى ذلك أن نظرية الرجل الخارق أو السوبرمان قد تم توظيفها في أغراض أيديولوجية خطيرة خاصة من قبل النازية، لذا تدل النظرية الإنسان الكامل على البعد النبوي والنموذج المثالي، الذي تجسد في الذات النبوية التي كانت محط تقدير من العالم بأسره على اختلاف تشكيلاته الثقافية. الإنسان الكامل هو الإنسان الموحد بواسطة الإرادة تلك التركيبة النفسية المكونة من الروح والنفس والجسد، ولا يتركها للأهواء التي تكون مرة للعقل ومرة للنفس ومرة للخيال، فهو الذي وازن بين قوى النفس الغضبية والشهوانية والعقلية. بمعنى آخر الإنسانية الكاملة هي التي حققت التوازن بين الأخلاط*[9] الأربعة الموجودة في الإنسان، النار، والهواء والماء والتراب، حتى أن سقوط الحضارات واندثارها بسبب عدم تغليب مزاج من هذه الأخلاط على غيره، بحيث يصير المزاج المتغلب رؤية إلى العالم، "فالأمم التي غلب عليها التراب الأسود كقوم لوط، أو مثل قارون هلكوا بالتراب فخسفت بهم الأرض، لأن جزاء كل أحد من جنس عمله وطبعه، والأمم التي غلب عليها الهواء بإتباع الهوى هلكوا بالريح العقيم. والأمم التي غلب عليها الطبع الناري هلكوا بالصواعق وريح السموم المحرقة كقوم هود وصالح، والأمم التي غلب عليها المزاج البلغمي بالإفراد في طبع الماء هلكوا بالغرق كقوم نوح وفرعون"(مفتاح، 2013، ص.225).

- خاتمة:

في خلاصة هذه الورقة البحثية نود الإشارة إلى أن مقولة الإنسان الكامل وفقا لما قررته النزعة الإنسانية الروحانية، هي دعوة لانفتاح حول التجربة الإنسانية في جانبها المتعالي، ذلك أن هذا الجانب الجُواني هو المشترك الإنساني بين جميع البشر، وطرائق الوصول إلى الحقيقة لا يمكن حصرها في العقل وحده، لأن المعنى يحتل جانبا مهما من حياة الإنسانية، وموضوع المعنويات لا يتأتى طرقه بمطرقة العقل، ففي علوم الروح المعنوية، يعد العقل كاشفًا عن الحقائق كشفا ظِلّيا لا حقيقيا، ولا سبيل لحدس المعنويات إلا عن طريق الشعور القلبي الباطني.

فلو شبّهنا المعنويات الرّوحية من سعادة وكرم وإحسان وغيرها بالمذوقات الحسية كالعسل، أمكن للعقل أن يستدل ويبرهن على أن هذا عسل لكن المعقولات لا يمكن لها أن تشعر وتحدس المعنويات، وكثيرا ما تقف المعقولات حاجزا أمام الروحانيات- خاصة وأن العقل يعتمد على القياس وعلته- ومن ثم لا يصل الإنسان إلى مقام الكمال في النفس الإنسانية، أما الطريق الذي يعتمده الإنسان الكامل فهو يُمايز بين المطلبين، أي القلب والعقل، فيضع للعقل حدوده التي يمكنه من خلاله البحث فيها، ولا يطرق بعقله عالم المعنى، وإلا دخله الفساد، ومن هنا كان منشأ الفساد لدى بعض الفلاسفة(الماجد).

كما تجدر الإشارة هنا لمسألة مهمة قبل الختام وهي الحرص على معرفة الإنسان لنفسه، فهو الطريق للوصول إلى كمالها، فقد سمعنا صدى عبارة **"أعرف نفسك بنفسك"** هذه العبارة التي كانت تنسب إلى فيثاغورس والتي يقال أنها نقشت على معبد أبولون في مدينة دلفي، فهي تدل دلالة رمزية على أهمية المعرفة الباطنية التي كانت على صلة وثيقة ومباشرة مع الحكمة، خاصة وأن من المسلم به لدى الفلاسفة في العصور القديمة أن هناك حكمة وهي أعلى من المعرفة العقلية، ومن كل ما سبق، نرى أن الإنسان الكامل هو الذي "عرف نفسه في الجوهر العميق لحقيقة ذاته، أي في مركز ذاته، عندئذ يعرف ربه، وبمعرفة ربه، يعرف في نفس الوقت جميع الأشياء التي تصدر وإليه ترجع. إنه يعرف كل الأشياء في الوحدة العليا للمبدأ الحق الذي لا يوجد شيء على الإطلاق خارج عنه" (غينون، 2013، ص ص. 124،125)، ولذلك قيل: إن الإنسان الكامل هو المقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فيقابل الحقائق الوجودية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته.

الإحالات

[1]- تجدر الإشارة هنا أن الاخلاق كان لها ارتباط وثيق بالدين أي: بالإله ثم تم فصلها حيث يقول جيل ليبوفيتسكي "في البدء كانت الأخلاق ذات توجه ديني مرتبطة بالإله إلى غاية الأنوار. ولقد كان الإيمان هو مصدر الفضيلة. وبدونه لن يكون هناك إلا الرذيلة. واستمر ذلك الى غاية القرن 17" (lipovetsky, 1992, p. 27)

[2]- ورد في نهج البلاغة أنّ الإمامَ عليَّ (ع) قال في خلقِ آدم «ثمّ جمع سبحانه من حَزن الأرض وسهلِها وعذبِها وسبخِها تربةً سنّها بالماء حتّى خلصت، ولاطَها بالبلّة حتّى لزُبت. فجعل منها صورةً ذاتَ أحناءٍ ووصولٍ وأعضاءٍ وفصولٍ أجمدَها حتّى استمسكت، وأصلدَها حتّى صلصلت لوقتٍ معدودٍ وأمدٍ معلومٍ. ثمّ نفخ فيها من روحِه فمثُلت إنسانًا ذا أذهانٍ يُجيلُها، وفِكَرٍ يتصرّفُ بها وجوارحَ يختدِمها... ومعرفةٍ يفرق بها بين الحقّ والباطلِ. .. » (نهج البلاغة م ا ص 20، 21، المرجع السابق).كما يبدو من قراءة هذه الفقرة من خطابِه فعليه السّلام يحدّثنا في خلقِ آدم (ع) بناءً على ما جاء في الموضوع في القرآن الكريم بعباراتٍ رمزيةٍ تشير إلى مُكوّناتِ تركيبِ الكيانِ الإنسانيّ. ولمّا كان قصد الله من خلقِ آدم، نصبَ خليفةٍ له في الأرض، فمن المعقولِ أن يجمعَ أمرُه هذا كلّ الأبعادِ الكونيةِ، بحيث أن يكون الإنسانُ مختصرًا للكونِ الوجوديّ كلّه. ولذا ورد في القرآن أنّ اللهَ خلق آدم (ع) بيديْه كما جاء في قوله تعالى مخاطبًا إبليسَ ﴿**يا إبليس ما منعَك أن تسجُد لِما خلقتُ بيديَّ**﴾ (ص، 75 فيدُه تعالى اليُمنى ميزةُ بُعد آدم الرّوحي. أمّا يدُه تعالى اليسرى فعبارةٌ على بعد آدم الشّهاديّ والجسيّ. وما بينهما إشارةٌ إلى بُعده النفسي والبرزخيّ. **إنّ الجسمَ الآدميَّ** مركّبٌ من العناصرِ الأربعةِ، ومنها المذكورةُ حرفيًّا في خطابه عليه السّلام كالتّرابِ والماءِ، ومنها المذكورةُ ضمنيًّا كالهواءِ والنّارِ عندما أشار الإمامُ (ع) إلى معنى صلْصلة الفخّارِ والذّي هو الطّين المحروقُ. وذِكرُ العناصرِ الأربعةِ في جعلِ الإنسانِ صريحٌ في القرآن الكريم. فالتّرابُ مذكورٌ في قوله تعالى ﴿**هو الذي خلقكم من ترابٍ**﴾ (غافر، 67). فالماءُ مذكورٌ في مزجه مع التراب في قوله تعالى ﴿**هو الذي خلقكم من طين**﴾ (الأنعام، 2). أمّا عنصر الهواء فهو مذكورٌ ضمنيًّا في قوله تعالى مخاطبًا الملائكةَ ﴿**إنّي خالق بشرًا من صلْصالٍ من حمإٍ مسنون**﴾ (الحجر، 28) أي من حمإٍ يَطلعُ منه هواءٌ رائحةٍ. وأمّا عنصرُ النّار فمذكور في قوله تعالى ﴿**خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخّارِ**﴾ (الرحمان، 14) كما سبق شرحه. والصّلصال إشارةٌ ثانيةٌ إلى عنصر الهواءِ من خلال الصّوتِ الذي يثيره الرّيح حين يهبُّ على فمِ الفخّارِ. **أمّا البعد البرزخي** للإنسانِ فذكره الإمامُ (ع) في طاقته الفكريةِ التي تُلبسُ المعانيَ المُدرَكةَ شكلاً لفظيًّا لإبلاغها وللتّأثير في المحيطِ المعيشي. والبعد البرزخي ممثّلٌ أيضًا في طاقته الفرق بين الحقّ والباطل، منذ أن ادّعى لنفسه توابعَ الوجود مع ذوقِ طعمِ الخيرِ والشّرّ وطعمِ الثّوابِ والعقابِ. **وأمّا بعده الرّوحيُّ** فمُمثّلٌ في الرّوحِ المنفوخةِ فيه كما جاء في قوله تعالى ﴿**فإذا سوّيتُه ونفختُ فيه من روحي**﴾ (الحجر، 29). وللإشارة فقط فإن لم نُورد الآياتِ المتعلقةَ بالنّفس فلِغزارةِ عددِها في القرآن ما أعفانا من ذكرِها. حمزة بن عيسى، **رسالة خلق أدم عليه السلام**، مخطوط.

[3]- الحديث مروي في الصحيحين: روى البخاري برقم: (6227) ومسلم: برقم (2841).

[4]- **كريستوفر مارلو) (1563 – 1593 م)** كاتب مسرحي بريطاني، كان أول كتاب التراجيديا (المأساة) البارزين في عهد الملكة إليزابيث، ومن أشهر أعماله قصة **تاريخ دكتور فاوست المأساوي** (1588م)، وهي وجهة نظر تصورية خيالية رغبته الشديدة في الحصول على المعلومات المحرمة والقوة والملذات الحسية. لم يسبقه كاتب في تاريخ الأدب الإنجليزي في بيان صراع الروح مع القوانين التي تحدد مكان الكائنات البشرية في النظام الكوني. ولد(مارلو)فيكا نتربريل إنجلترا وتلقى تعليمه في كمبردج، ويبدو أنه كان يؤدي أثناء سنوات دراسته بالكلية خدمات سرية لحساب الحكومة، فقد تركت السنوات القليلة التي سبقت موته، في مشاجرة بإحدى الحانات، دليلا على نزاع وتقارير بشأن أفكاره السياسية والدينية المتشككة وغير العادية. حصل (مارلو) على شهرته المسرحية من قصته **تيمورلنك العظيم (1587م)** ... ومسرحياته اللاحقة تركز على ما كان يعتبر عناصر خطيرة ومدمرة في ثقافة عصر النهضة، مثل عناصر الإلحاد

والسحر والشذوذ الجنسي، وهذه المسرحيات هي: **يهودي مالطة (1589م)**؛ **وإدوارد الثاني (1592م)**؛ **دكتور فاوست**" أنظر **الموسوعة العربية العالمية**، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، مجلد 22، 1999، ص 67، 68.

[5]ولتحقيق الخلود ومحاربة الفناء (الموت) يعمد أنصار الإنسانوية العابرة إلى طريقة التي تقوم أولا على" الآلة الإنسان نفسه، أي إدخال غرسات اصطناعية أو رقائق في الجسم وفي الدماغ، مما ينتج الإنسان السيبورغ cyborg، ومن ناحية أخرى إنشاء الإنشاء الشبيه بالروبوت – أندرويد...وتحقيق الخلود، الذي يتضمن طريقتان: **الأولى** تنطوي على استخدام التكنولوجيا الحيوية (الخلايا الجذعية، الاستنساخ). **والثاني** هو استخدام المعلومات وتكنولوجيا النانو. هذا هو ما يسمّى (تحميل الوعي)، تُبنى أثناءه نسخة كاملة من الدماغ البشري على جهاز كمبيوتر لإنشاء نسخ احتياطية من شخص ما. نظرا لأن الشخصية البشرية لا تعتبر إلا حاملا لمعلومات الجينات المشفرة في الحمض النووي، والدماغ بصفته حاسوبا عصبيا، فسيحققان الخلود انطلاقا من نقل ديناميكي للوعي من حامل وسائط إلى آخر". أولغا تشيتفيريكوفا، المرجع نفسه، ص 230.

[6]الأيونات فاضت عن الخالق، إلا أنها تشكل عملية تمايز لجوانب مختلفة للمطلق...وقد فاضت الأيونات حتى يتم سد الهوة بين الإله الخفي والعالم لتحقيق عملية الخلاص...وأهم الأيونات هو الإنسان باعتباره كيانا أزليا مقدسا سابقا على كل الوجود، وعلى خلق الكون نفسه. انظر: عبد الوهاب المسيري، **الحلولية ووحدة الوجود**، بيروت لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، ص297.

[7]محي الدين بن عربي، **ترجمان الأشواق**، ط3، بيروت لبنان، دار صادر، 2003، ص 44، 45

[8]ولذلك فهناك ارتباط بين الأخلاط والحواس في جسم الإنسان" فللنار بصر العينين والصفراء، وللهواء سمع الأذن وشم الأنف، وللماء ذوق اللسان والبلغم، وللتراب لمس الجلد والسوداء، ونظير الركن الخامس في الحواس روحها الحيواني، ونظيره في أخلاط المزاج" انظر عبد الباقي مفتاح، **الحقائق الوجودية الكبرى**، ط1، سوريا، دار نينوى، 2013، ص225.

- قائمة المراجع:

- فريديريك نيتشه. (2007). هكذا تكلم زرادشت. ط1، ترجمة: وعلي مصباح، كولونيا، ألمانيا: منشورات الجمل.
- التوحيدي أبو حيان. (1424 ه). الإمتاع والمؤانسة. ط1، بيروت: المكتبة العصرية.
- الملائكة إحسان. (2016). جلال الدين الرومي صائغ النفوس. ط1، المغرب: دار البيضاء.
- إخوان الصفا. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، المجلد ج 3. ط1، بيروت لبنان: دار صادر.
- جوفرو إريك يونس. (2016). المستقبل الروحاني للإسلام، ط1، القاهرة مصر: ترجمة: هاشم صالح.
- الماجد أكرم. (د-ت). شرح فصوص الحكم. مخطوط.
- تورين آلان. (1998). نقد الحداثة. ترجمة: أنور مغيث، القاهرة مصر: المركز القومي للترجمة.

- نخبة من المؤلفين. (1993). الدين الطبيعي، بيروت لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
- .... (2012). الدين في حدود مجرد العقل، بيروت: لبناندار جداول.
- الواحدي. (1991). أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول. ط1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- تشيتفيريكوفا أولغا. (2020). دكتاتورية المستنيرين، روح الإنسانوية العبارة وأهدافها. (ط1، المحرر، وترجمة باسم الزغبي، المترجمون) عمان الأردن: الآن ناشرون.
- دريدا جاك، وجياني فاتيمو. (2004). الدين في عالمنا. (ط1، المحرر، ترجمة: محمد الهلالي وحسين العمراني، المغرب: دار توبقال.
- كولينز جيمس. (1998). الله في الفلسفة الحديثة. ط1، المحرر، ترجمة: فؤاد كامل، القاهرة مصر: دار قباء للنشر والتوزيع.
- نخبة من المؤلفين. (2010). حرية الفكر القاهرة مصرك المركز القومي للترجمة.
- بن عيسى حمزة. (د-ت). رسالة خلق أدم عليه السلام، مخطوط غير منشور.
- العرويدار عبد الله. (2012). دين الفطرة، البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي
- غينون رنيه. (2013). هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان. ترجمة: عبد الباقي مفتاح، عمان الأردن: عالم الكتب الحديث.
- غينون رينيه. (2013). التصوف الإسلامي المقارن. ط1، ترجمة: عبد الباقي مفتاح، إربد الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- ------- (2000). سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، دار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمان طه. (2014). بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين. ط1، بيروت لبنان: الشركة العربية للأبحاث.
- مفتاح عبد الباقي. (2013). الحقائق الوجودية الكبرى. ط1، سوريا: دار نينوى.
- بدوي عبد الرحمان. (1975). (نيتشه)، ط5، الكويت: وكالة المطبوعات.
- يحي عبد الواحد. (1931). القوى السابحة. مجلة المعرفة، 7، 814.
- يحي عبد الواحد. (1931). الروحانية الحديثة وخطؤها، مجلة المعرفة، 3، 258.

- المسيري عبد الوهاب. (د-ت). الحلولية ووحدة الوجود. ط1، بيروت لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- -----. (2009). علم الأديان، مساهمة في التأسيس أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة: المركز الثقافي العربي.
- بيجوفيتش علي عزت. (1997). الإسلام بين الشرق والغرب. ط1، المترجم: يوسف عدس، مصر: دار النشر للجامعات.
- غارودي روجيه. (2002). حفارو القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبره. ط3، ترجمة: عزة صبحي، القاهرة مصر: دار الشروق.
- كونزمان بيتر، وآخرون. (2007). طلس الفلسفة dtv. ط2، بيروت، لبنان: مكتبة الشرقية.
- إقبال محمد. (2007). رسالة الخلود أو جاويد نامة. ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- بن العربي محي الدين. (2003). ترجمان الأشواق. ط3، بيروت لبنان: دار صاد.
- ..... (2010). مسعى البشرية الأزلي الله لماذا؟ مصر: نشر سطور جديدة
- عزمي هشام. (2016). التطور الموجه بين العلم والدين، المجلد 1. مصر: دار الكتب للنشر والتوزيع.

- L'éthique indolore des nouveaux temps démocratiques.1992Frgallimard
- Locke.1959Essay on Human Understanding Dover Publications
- Introduction The Goodness of God. The church. and social order2007Wipf and Stock Publishers